بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيـمِ)) ((**إِذَا الشَّـمْسُ كُـوِّرَتْ . وَإِذَا**)) **النُّجُـومُ انكَـدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَـالُ سُـيِّرَتْ**)) قـوله تعـالى ((**إذا الشمس كورت**)) هذا يكـون يـوم القيامـة، والتكـوير: جمـع الشـيء بعضه إلى بعض ولفّه كما تكوّر العمامة علـى الـرأس، والشـمس كتلـة عظيمة كبيرة واسعة فـي يـوم القيامـة يكورهـا اللـه عـز وجـل فيلفهـا جميعاً ويطوي بعضها على بعض فيذهب نورهـا، ويلقيهـا فـي النـار عـز وجل إغاظة للذين يعبدونها من دون الله، قـال اللـه تبـارك وتعـالى: ((**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**)) أي تحصبون فـي جهنم ((**أنتم لها واردون**)) . ويستثني من ذلـك مـن عُبـد مـن دون الله من أولياء الله فإنه لا يلقى في النار كما قال الله تعـالى بعـد هـذه الآيــة ((**إن الــذين ســبقت لهــم منــا الحســنى أولئــك عنهــا مبعدون. لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون**)) . ((**إذا الشمس كورت**)) . ((**وإذا النجوم انكدرت**)) : انكدرت يعني تساقطت كما تفسره الآية الثانية. **((وإذ الكواكب انتثرت**))، فالنجوم يـوم القيامـة تتنـاثر وتـزول عـن أماكنهـا. ((**وإذا الجبال سُيرت**)) هذه الجبال العظيمة الصلبة العالية الرفيعـة تكـون هباءً يوم القيامة وتسـيّر كمـا قـال اللـه تعـالى: ((**وسيّرت الجبـال فكـانت ســراباً))** . ((**وإ ذا العشــار عُطلــت**)) العشــار جمـع عشراء، وهي الناقة الحامل التي تـم لحملهـا عشـرة أشـهر وهـي مـن أنفس الأموال عند العرب، وتجد صاحبها يرقبها ويلاحظهـا، ويعتنـي بهـا ويأوي إليها ويحف بها في الدنيا، لكن في الآخرة تعطل ولا يلتفت إليها؛ لأن الإنسان في شأن عظيـم مزعـج ينسـيه كـل شـيء كمـا قـال اللـه تبــارك وتعــالى: ((**يــوم يفــر المــرء مــن أخيــه. وأمــه وأبيــه. وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**)) . ((**وإذا الوحوش حشرت**)) الوحوش جمع وحش، والمراد بها جميع الدواب، لقول الله تعالى: ((**وما مــن دابــة فــي الأرض ولا طــائر يطيــر بجناحيه إلا أُمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شــيء ثــم إلى ربهم يحشرون**)). تحشر الدواب يوم القيامة ويشاهدها الناس ويُقتص لبعضها من بعض، حتى إنه يقتص للبهيمـة الجلحـاء الـتي ليـس لها قرن من البهيمة القرناء، فإذا اقتص من بعض هذه الوحوش لبعـض أمرها الله تعالى فكانت تراباً، وإنما يفعل ذلك سبحانه وتعـالى لإظهـار عدله بين خلقه . ((**وإذا البحار سُجّرت**)) البحار جمع بحر وجمعـت

لعظمتها وكثرتها، فإنهـا تمثـل ثلاثـة أربـاع الأرض تقريبـاً أو أكـثر. هـذه البحار العظيمة إذا كان يوم القيامة فإنها تُسجّر، أي توقد نـاراً، تشـتعل ناراً عظيمة وحينئذ تيبس الأرض ولا يبقى فيها مـاء؛ لأن بحارهـا الميـاه العظيمة تسجّر حتى تكون ناراً. ((**وإذا النفوس زوجت**)) النفـوس جمع نفس، والمراد بها الإنسان كله، فـتزوّج النفـوس يعنـي يُضـم كـل صنف إلى صنفه؛ لأن الزوج يراد بـه الصـنف كمـا قـال اللـه تعـالى: ((**وكنتم أزواجاً ثلاثة**)). أي أصنافاً ثلاثة وقـال تعـالى: ((**وآخر مـن شـكله أزواج**)). أي أصـناف، وقـال تعـالى: ((**احشـروا الـذين ظلموا وأزواجهم**)). أي أصنافهم وأشكالهم فيوم القيامة يضم كـل شكل إلى مثله، أهل الخير إلى أهل الخير، وأهل الشر إلى أهل الشـر، وهذه الأمة يضم بعضها إلى بعض ((**وترى كل أمة جاثية**)) لوحـدها ((**كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون**)) . إذاً **((وإذا النفوس زوجت**)) يعني شكّلت وضُم بعضها إلى بعض كل صنف إلى صنفه، كل أمة إلى أمتها. ((**وإذا الموءودة سُـئلت . بأي ذنب قُتلت**)) الموءودة هي الأنثى تدفن حية، الأنثى تدفن حية، وذلك أنه في الجاهلية لجهلهم وسوء ظنهم بالله، وعـدم تحملهـم يعيّـر بعضهم بعضاً إذا أتته الأنثى، فإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، ممتلئ هًّما وغمًّا ((**يتوارى من القـوم**)) يعنـي يختفـي منهم ((**من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فـي التراب**)). يعني إذا قيل لأحدهم نبشرك أن الله جاء لك بأنثى ـ ببنـت ـ اغتم واهتم، وامتلأ من الغم والهم، وصار يفكر هل يبقـي هـذه الأنـثى على هون وذل؟ أو يدسها فـي الـتراب ويسـتريح منهـا؟ فكـان بعضـهم هكذا، وبعضهم هكذا. فمنهم من يـدفن البنـت وهـي حيـة، إمـا قبـل أن تميز أو بعد أن تميز، حـتى إن بعضـهم كـان يحفـر الحفـرة لبنتـه، فـإذا أصابت لحيته، فإذا أصاب لحيته شيء من التراب نفضته عن لحيته وهو يحفر لها ليدفنها، يعني ولا يكون في قلبه لها رحمـة، وهـذا يـدلك علـى أن الجاهليـة أمرهـا سـفال، فـإن الوحـوش تحنـو علـى أولادهـا وهـي وحـوش، وهـؤلاء لا يحنـون علـى أولادهـم . يقـول عـز وجـل: ((**وإذا الموءودة سُئلت**)) تسأل يوم القيامة ((**بأي ذنب قتلـت**)) إيـش جنت، هل أذنبت؟ فإذا قال الإنسان: كيف تُسأل وهي المظلومة... هي المدفونة، ثم هي قد تدفن وهي لا تميز، ولم يجر عليهـا قلـم التكليـف، فكيف تسأل؟ قيل: إنها تُسأل توبيخـاً للـذي وأدهـا، لأنهـا تُسـأل أمـامه

فيقال: بأي ذنب قُتِلْتِ أو قُتِلَتْ؟ نظير ذلك لو أن شخصاً اعتدى على آخر في الدنيا فأتوا إلى السلطان إلى الأمير فقال للمظلوم: لأي شيء ضربك هذا؟ بأي ذنب ضربك هذا الرجل؟ وهو يعرف أنه معتداً عليه ليس له ذنب. لكن من أجل التوبيخ للظالم، فالموءودة تُسأل بأي ذنب قتلت توبيخاً لظالمها وقاتلها ودافنها نسأل الله العافية. ((**وإذا الصحف نشرت**)) الصحف جمع صحيفة، وهي ما يكتب فيها الأعمال. واعلم أيها الإنسان أن كل عمل تعمله من قول أو فعل فإنه يكتب ويسجل بصحائف على يد أمناء كرام كاتبين يعلمون ما تفعلون، يسجل كل شيء تعمله فإذا كان يوم القيامة فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: ((**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**)) يعني عمله في عنقه ((**ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً**)) مفتوحاً ((**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**)) ، كلامنا الآن ونحن نتكلم مكتوب، كلام بعضكم مع بعض يكتب، كل كلام يكتب ((**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**)). ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**) ، وقال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**)، لأن كل شيء سيكتب عليه، ومن كثُر كلمُه كثُر سقطه، يعني الذي يُكثر الكلام يكثر منه السقط والزلات، فاحفظ لسانك فإن الصحف سوف يكتب فيها كل ما تقول وسوف تنشر لك يوم القيامة. ((**وإذا الصحف نشرت**)). ((**وإذا السماء كشطت**)) السماء فوقنا سقف محفوظ قوي شديد. قال تعالى: ((**والسماء بنيناها بأيد**)). أي بقوة. وقال تعالى: ((**وبنينا فوقكم سبعاً شداداً**)) . أي قوية. في يوم القيامة تكشط يعني تُزال عن مكانها كما يكشط الجلد عند سلخ البعير عن اللحم يكشطها الله عز وجل ثم يطويها جل وعلا بيمينه كما قال تعالى: ((**والسموات مطويات بيمينه**)) . ((**كطي السجل للكتب**)). يعني كما يطوي السجل الكتب، يعني الكاتب إذا فرغ من كتابته طوى الورقة حفظاً لها عن التمزق وعن المحي، فالسماء تكشط يوم القيامة ويبقى الأمر فضاء إلا أن الله تعالى يقول: ((**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**)). يكون بدل السماء التي فوقنا الآن يكون الذي فوقنا هو العرش؛ لأن السماء تطوى بيمين الله عز وجل يطويها بيمينه ويهزها وكذلك الأرض باليد الأخرى ويقول: (أنا الملك، أين ملوك

الـدنيا؟) . ((**وإذا الجحيم سـعرت**)) الجحيـم هـي النـار، وسـميت بذلك لبعد قعرها وظلمة مرءاهـا- نسـأل اللـه أن ينجينـا وإيـاكم منهـا-. تُسعر أي توقد. وما وقودها الذي توقد به؟ وقودها الذي توقـد بـه قـال الله عنه: ((**يا أيها الـذين آمنـوا قـوا أنفسـكم وأهليكـم نـاراً وقودها الناس والحجارة**)). بدل ما توقد بـالحطب والـورق يكـون الوقود الناس يعني الكفار. والحجارة حجـارة مـن نـارٍ عظيمـة شـديدة الاشــتعال شــديدة الحــرارة، هــذا تســعير جهنــم . ((**وإذا الجنــة أزلفت**)) الجنة دار المتقين فيها مـا لا عيـن رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشـر، ((**أزلفت**)) يعنـي قُرِّبـت وزُيِّنـت للمـؤمنين . وانظر الفرق بين هذا وهذا. دار الكفـار، مـا الـذي يجـري بهـا؟ أجيبـوا، تسعّر، توقد، ودار المـؤمنين تزيّـن وتقـرّب ((**وإذا الجنة أزلفـت**)) كل هـذا يكـون يـوم القيامـة، إذا قرأنـا هـذه الآيـات: ((**إذا الشمس كورت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيرت. وإذا العشار عطلـت. وإذا الوحـوش حشـرت. وإذا البحـار سـجرت. وإذا النفوس زوجت. وإذا الموؤدة سئلت. بـأي ذنـب قتلـت. وإذا الصحف نشرت. وإذا الشماء كشطت. وإذا الجحيـم سـعرت. وإذا الجنـة أزلفـت**)) هـذه اثنتـا عشـرة جملـة إلـى الآن لـم يـأت بـالجواب. لأن كلهـا فـي ضـمن الشـرط **((إذا الشـمس كـورت**)) فالجواب لم يأت بعـد مـاذا يكـون إذا كـانت هـذه الأشـياء؟ قـال اللـه تعالى: ((**علمت نفس ما أحضرت**))، أي ما قدمته مـن خيـر وشـر ((**يوم تجد كل نفس ما عملت من خيـر محضـراً ومـا عملـت من سوء**)) . يعني يكون محضراً أيضاً ((**تـود لـو أن بينهـا وبينـه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه**)). فتعلم في ذلك اليوم كل نفس ما أحضرت من خير أو شر، في الدنيا نعلم ما نعمل من خير وشر لكن سرعان ما ننسى. من يتذكر الآن ما عمله ممـا سـبق منـذ جـرى عليـه قلـم التكليـف ؟ إنـا نسـينا الشـيء الكـثير لا مـن الطاعـات ولا مـن المعاصي، ولكن هل تظنون أن هذا يذهب سدى كما نسـيناه؟ لا واللـه، بل والله هو باق، فإذا كـان يـوم القيامـة أحضـرته أنـت بـإقرارك علـى نفسك بأنك عملته، ولهذا قال تعالى: ((**علمت نفس ما أحضرت**)) فينبغي بل يجب على الإنسان أن يتأمل في هـذه الآيـات العظيمـة وأن يتعظ بما فيها من المواعظ، وأن يؤمن بها كأنه يراها رأي عين؛ لأن مـا أخبر الله به وعلمنا مدلوله فإنه أشد يقيناً عندنا مما شاهدناه بأعيننا أو

سمعناه بأذاننا؛ لأن خبر الله لا يكذب، صدق، لكـن مـا نـراه أو نسـمعه كثيراً ما يقع فيه الوهم. قد ترى الشيء البعيد شبحاً تعينه بتصورك وهو خلاف الواقع، وقد تسمع الصـوت فتظنـه شـيئاً معينـاً فـي ذهنـك وهـو خلاف الواقع، فالوهم يرد على الحواس لكن خبر الله عز وجل إذا علم مدلوله لا يمكن أبداً أن يرد عليه شيء من الوهم لأنه خبر صدق، فهذه الأمور التي ذكرها الله في هذه الآيات أمور حقيقية يجب أن تـؤمن بهـا كأنك تراها رأي عين، ثم بعد الإيمـان بهـا يجـب أن تعمـل بمقتضـى مـا تدل عليه من الاتعاظ والانزجار والقيام بالواجب وتـرك المنهيـات حـتى تكون من أهل القرآن الـذين يتلـونه حـق تلاوتـه – جعلنـي اللـه وإيـاكم منهم بمنه وكرمه إنه على كل شيء قدير -. حيث قال الله عز وجل: ((**فَلاَ أُقْسِـــمُ بِـــالْخُنَّسِ * الْجَـــوَارِ الْكُنَّـــسِ**)) ((**فلا أقســـم بالخنس**)) قوله تعالى: ((**فلا أقسم**)) قد يظـن بعـض النـاس أنهـا نافية، أن ((**لا**)) نافية وليس كذلك، بل هي مثبتـة للقسـم ويـؤتى بهـا في مثل هذا التركيب للتأكيد. فالمعنى ((**أقسم بالخنس**)) والخنس جمع خانسة، وهي النجوم التي تخنس، أي ترجع فبينما تراها في أعلـى الأفق إذا بها راجعة إلى آخر الأفق، وذلك والله أعلم لارتفاعهـا وبُعـدها فيكون ما تحتها من النجوم أسرع منها في الجري بحسب رؤية العيــن. وهذه ((**الجوار**)) أصلها الجواري بالياء لكن حذفت الياء للتخفيف و((**الكنس**)) هي التي تكنس أي تـدخل فـي مغيبهـا. فأقسـم اللـه بهـذه النجـوم ثـم أقسـم بالليـل والنهـار فقـال: ((**والليل إذا عسـعس. والصبح إذا تنفس**)) معنى قوله: ((**عسعس**)) يعني أقبل، وقيـل: معناه أدبر، وذلك أن الكلمة ((**عسعس**)) فـي اللغـة العربيـة تصـلح لهذا وهذا. لكن الذي يظهر أن معناها أقبل ليوافق أو ليطابق مـا بعـده من القسم. وهو قوله: ((و**الصبح إذا تنفس**)) فيكـون اللـه أقسـم بالليل حال إقباله، وبالنهار حال إقبـاله. وإنمـا أقسـم اللـه تعـالى بهـذه المخلوقات لعظمها وكونها مـن آيـاته الكـبرى، فمـن يسـتطيع أن يـأتي بالنهار إذا كان الليل، ومن يستطيع أن يأتي بالليل إذا كان النهـار، قـال الله عز وجل: ((**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليـل سـرمداً إلـى يـوم القيامـة مَـن إلـه غيـر اللـه يـأتيكم بضـياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلـى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بليل تسـكنون فيـه أفلا تبصرون**)) ((**ومن رحمته جعل لكم الليـل والنهـار لتسـكنوا**

فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)) فهذه المخلوقات العظيمة يقسم الله بها لعظم المقسم عليه وهو قوله: ((**إنه لقول رسول كريم**)) ((**إنه**)) أي القرآن ((**لقول رسول كريم**)) هو جبريل عليه الصلاة والسلام، فإنه رسول الله إلى الرسل بالوحي الذي ينزله عليهم. ووصفه الله بالكرم لحسن منظره كما قال تعالى في آية أخرى: ((**ذو مرة فاستوى**)) . ((**ذو مرة**)) قال العلماء: المرة: الخلق الحسن والهيئة الجميلة، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام موصوفاً بهذا الوصف: ((**كريم**)) . ((**ذي قوة عند ذي العرش مكين**)) ((**ذي قوة**)) وصفه الله تعالى بالقوة العظيمة، فإن الرسول صلى الله عليه وسلّم رآه على صورته التي خلقه الله عليها له ست مئة جناح قد سدّ الأفق كله من عظمته عليه الصلاة والسلام، وقوله: ((**عند ذي العرش**)) أي عند صاحب العرش وهو الله جل وعلا، والعرش فوق كل شيء، وفوق العرش رب العالمين عز وجل. قال الله تعالى: ((**رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده**)) . فذو العرش هو الله. وقوله: ((**مكين**)) أي ذو مكانة، أي أن جبريل عند الله ذو مكانة وشرف، ولهذا خصه الله بأكبر النعم التي أنزلها الله على عباده، وهو الوحي فإن النعم يا إخواني لو نظرنا إليها لوجدنا أنها قسمان: نِعَم يستوي فيها البهائم والإنسان، وهي متعة البدن: الأكل والشرب، والنكاح والسكن، هذه النعم يستوي فيها الإنسان والحيوان، أليس كذلك؟ فالإنسان يتمتع بما يأكل، وبما يشرب، وبما ينكح، وبما يسكن، والبهائم كذلك. ونِعمٌ أخرى يختص بها الإنسان، وهي الشرائع، الشرائع التي أنزلها الله على الرسل لتستقيم حياة الخلق، لأنه لا يمكن أن تستقيم حياة الخلق أو تطيب حياة الخلق إلا بالشرائع ((**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**)) . فالمؤمن العامل بالصالحات هو الذي له الحياة الطيبة في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة. والله لو فتشت الملوك وأبناء الملوك، والوزراء وأبناء الوزراء، والأمراء وأبناء الأمراء، والأغنياء وأبناء الأغنياء، لو فتشتهم وفتشت من آمن وعمل صالحاً لوجدت الثاني ، أطيب عيشة، وأنعم بالاً، وأشرح صدراً، لأن الله عز وجل الذي بيده مقاليد السموات والأرض تكفل. قال: ((**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**))

تجد المؤمن العامل للصالحات مسرور القلب، منشرح الصدر، راضياً بقضاء الله وقدره، إن أصابه خير شكر الله على ذلك، وإن أصابه ضده صبر على ذلك واعتذر إلى الله مما صنع، وعلم أنه إنما أصابه بذنوبه فرجع إلى الله عز وجل، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**عجباً للمؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته ضَّراء صبر ، فكان خيراً له، وإن أصابته سَّراء شكر فكان خيراً له**)، وصدق النبي عليه الصلاة والسلام، إذن أكبر نعمة أنزلها الله على الخلق هي نعمة الدين الذي به قوام حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، وأنا أسألكم الآن ما هي الحياة؟ هل هي الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة؟ الحياة الآخرة، والدليل قوله تعالى في سورة الفجر: ((**يقول يا ليتني**)) أتموا الآية ((**قدمت لحياتي**)). فالدنيا ليست بشيء. الحياة حقيقة حياة الآخرة، والذي يعمل للآخرة يحيا حياة طيبة في الدنيا، كما تلوت عليكم الآية، فصار الآن المؤمن العامل للصالحات هو الذي كسب الحياتين: حياة الدنيا، وحياة الآخرة. والكافر هو الذي خسر الدنيا والآخرة ((**قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين**)) . يقول الله عز وجل: ((**ذي قوة عند ذي العرش مكين**)) ((**مطاع ثمَّ أمين**)) : ((**مطاع ثم**)): أي هناك، ((**أمين**)): على ما كُلف به. من يطيعه ؟جبريل هو المطاع فمن الذي يطيعه؟ قال العلماء: تطيعه الملائكة لأنه ينزل بالأمر من الله فيأمر الملائكة فتطيع، فله إمرة وله طاعة على الملائكة. ثم الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين ينزل جبريل عليهم بالوحي لهم إمرة وطاعة على المكلفين ((**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين**)) . ((**مطاع ثمَّ أمين**)) وهنا أقسم الله عز وجل على أن هذا القرآن قول هذا الرسول الكريم الملكي ، في آية أخرى بيّن الله سبحانه وتعالى وأقسم أن هذا القرآن قول رسول كريم في قوله تعالى: ((**فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون. إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر**)). فهل الرسول هناك هو الرسول هنا ؟ الجواب: لا، الرسول هنا في سورة التكوير رسول ملكي أي من الملائكة وهو جبريل، والرسول هناك رسول بشري وهو محمد عليه الصلاة والسلام، والدليل على هذا واضح. هنا قال: ((**إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي**

العرش مكين)) وهذا الوصف لمن؟ لجبريل، لأنه هو الذي عند اللـه، أما محمد عليـه الصـلاة والسـلام فهـو فـي الأرض. هنـاك قـال: ((**فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنـه لقـول رسـول كريـم وما هو بقول شـاعر**)) ردًّا لقـول الكفـار الـذين قـالوا إن محمـداً شـاعر ((**ولا بقول كـاهن**)) فأيهمـا أعظـم قسـماً ((**فلا أقسـم بـالخنس. الجـوار الكنـس. والليـل إذا عسـعس. والصـبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم ذي قوة**)) أو ((**فلا أقسم بمـا تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم**))، أيها أعظم؟ الثاني، الثاني أعظم، ليس فيه شيء أعمّ منه ((**بمـا تبصـرون ومـا لا تبصرون**)) كل الأشياء إما نبصـرها أو لا نبصـرها. إذن أقسـم اللـه بكـل شـيء. وهنـا أقسـم بالآيـات العلويـة ((**فلا أقسـم بـالخنس الجوار الكنس**)) والليل والنهار هذه آيات علوية أفقية ، سبحان اللـه تناسب الرسول الذي أُقسم على أنه قوله وهو جبريل؛ لأن جبريل عنـد اللـه . فـإذا قـال قائـل: كيـف اللـه يصـف القـرآن بـأنه قـول الرسـول البشري، والرسول الملكي؟ فنقول: نعـم الرسـول الملكـي بلّغـه إلـى الرسول البشري، والرسول البشري بلغه إلى الأمـة، فصـار قـول هـذا بالنيابة، قول جبريل بالنيابة وقول محمد بالنيابـة، مـن القائـل الأصـلي، الأول؟ الأول هو الله عز وجـل، هـو اللـه ،فـالقرآن قـول اللـه حقيقـة، وقول جبريل باعتبار أنه بلغه لمحمد، وقول محمد باعتبار أنه بلغه إلـى الأمة. واضـح يـا إخـوان؟ طيـب . قـال اللـه تعـالى ((**وما صـاحبكم بمجنون**)) أي: المراد بصاحبكم محمد رسول اللـه عـز وجـل، وتأمـل أنه قال: ((**وما صـاحبكم**)) ولـم يقـل: ومـا محمـد، كـأنه قـال: مـا صاحبكم الذي تعرفونه وأنتم وإياه دائمـاً، بصـراحة بقـي فيهـم أربعيـن سنة في مكة قبل النبوة يعرفونه، ويعرفون صدقه وأمانته، حـتى كـانوا يطلقون عليه اسم الأمين، اسم الأمين

وما صاحبكم بمجنون)) يعني ليس مجنوناً، بل هو أعقل العقلاء)) عليه الصلاة والسلام، أكمل الناس عقلاً بلا شك وأسدّهم رأيـاً. طيـب . ((**ومـا صـاحبكم بمجنـون**)). ((**ولقـد رآه**)) أي رأى جبريـل ((**بالأفق المبين**)) أي البين الظاهر العالي، فإن الرسول عليه الصـلاة والسلام رأى جبريل على صورته التي خُلق عليها مرتين: مرة في غـار حراء، ومرة في السماء السابعة لما عُرج به عليه الصـلاة والسـلام، ((**ولقـد رآه بـالأفق المـبين**)) أي الرؤيـتين هـذه؟ ((**رآه بـالأفق**

المبين)) هل هي الرؤية التي في غار حراء، أم الرؤية التي فوق السماء؟ في غار حراء، لأنه يقول ((رآه بالأفق)) إذن محمد في الأرض ((**وما هو على الغيب بضنين**)) يعني ما محمد صلى الله عليه وسلّم ((**على الغيب**)) يعني على الوحي الذي جاءه من عند الله بمتهم((ظنين)) بالظاء المشالة أي بمتهم ، وفيها قراءة ((**بضنين**)) بالضاد أي ببخيل، فهو عليه الصلاة والسلام ليس بمتهم في الوحي ولا باخل به، بل هو أشد الناس بذلاً لما أوحي إليه، يعلم الناس في كل مناسبة، وهو أبعد الناس عن التهمة لكمال صدقه عليه الصلاة والسلام. ((**وما هو بقول شيطان رجيم**)) أي ليس بقول أحد من الشياطين، وهم الكهنة الذين توحي إليهم الشياطين الوحي ويكذبون معه ويخبرون الناس فيظنونهم صادقين. وقوله تعالى ((**إن هو إلا ذكر للعالمين**)) ((**إن**)) هنا بمعنى " ما " وهذه قاعدة: أنه إذا جاءت " إلا " بعد (إن) فهي بمعنى " ما " أي أنها تكون نافية لأن " إن " تأتي نافية، وتأتي شرطية، وتأتي مخففة من الثقيلة، والذي يبين هذه المعاني هو السياق فإذا جاءت " إن وبعدها إلا " فهي نافية، أي ما هو أي القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلّم ونزل به جبريل على قلبه ((**إلا ذكر للعالمين**))، ذكر يشمل التذكير والتذكّر، فهو تذكير للعالمين، وتذكر لهم، أي أنهم يتذكرون به ويتعظون به والمراد بالعالمين من بُعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال الله تعالى: ((**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**)). وقال تعالى: ((**تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**)). فالمراد بالعالمين هنا من أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم . قال ((**لمن شاء منكم أن يستقيم**)) ((**لمن شاء**)) هذه الجملة بدل مما قبلها لكنها بإعادة العامل وهي " إلا " أي: " إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم " وأما من لا يشاء الاستقامة فإنه لا يتذكر بهذا القرآن ولا ينتفع به كما قال تعالى: ((**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**)). فالإنسان الذي لا يريد الاستقامة لا يمكن أن ينتفع بهذا القرآن، ولكن إذا قال قائل: هل مشيئة الإنسان باختياره؟ نقول: نعم مشيئة الإنسان باختياره. فالله عز وجل جعل للإنسان اختياراً وإرادة، فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل؛ لأنه لو لم يكن ذلك لم تقم الحجة على الخلق الذين أرسلت إليه الرسل بإرسال الرسل، فهمتم

الموضوع ؟ هل ما نفعله نحن باختيارنا وإرادتنا؟ الجواب: نعم هو باختيارنا وإرادتنا، ولولا ذلك ما كان لإرسال الرسل حجة علينا إذ أننا نستطيع أن نقول نحن لا نقدر على الاختيار، فالإنسان لا شك فاعل باختياره، وكل إنسان يعرف أنه إذا أراد أن يذهب إلى مكة فهو باختياره، وإذا أراد أن يذهب إلى المدينة فهو باختياره، وإذا أراد أن يذهب إلى بيت المقدس فهو باختياره وإذا أراد أن يذهب إلى الرياض فهو باختياره، أو إلى أي شيء أراده فهو باختياره لا يرى أن أحداً أجبره عليه، ولا يشعر أن أحداً أجبره على ذلك، كذلك أيضاً من أراد أن يقوم بطاعة الله فهو باختياره ومن أراد أن يعصي الله فهو باختياره، فالمشيئة للإنسان هو حر فيها، ولكن نعلم علم اليقين أنه ما شاء شيئاً إلا وقد شاءه الله من قبل، ولهذا قال: ((**وما تشاءون إلا أن يشاء الله**)) ما نشاء شيئاً إلا بعد أن يكون الله قد شاءه، فإذا شئنا الشيء علمنا أن الله قد شاءه، ولولا أن الله شاءه ما شئناه. كما قال تعالى: ((**ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا**)) . فنحن إذا عملنا الشيء نعمله بمشيئتنا واختيارنا، ولكن نعلم أن هذه المشيئة والاختيار كانت بعد مشيئة الله عز وجل، ولو شاء الله ما فعلنا . فإن قال قائل: إذن لنا حجة في المعصية لأننا ما شئناها إلا بعد أن شاءها الله . فالجواب: أنه لا حجة لنا لأننا لم نعلم أن الله شاءها إلا بعد أن فعلناها، وفعلنا إياها باختيارنا، ولهذا لا يمكن أن نقول إن الله شاء كذا أو شاء كذا إلا بعد أن يقع، فإذا وقع فبأي شيء وقع؟ وقع بإرادتنا ومشيئتنا، لهذا لا يتّجه أن يكون للعاصي حجة على الله عز وجل وقد أبطل الله هذه الحجة في قوله: ((**سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا**)) . فلولا أنه لا حجة لهم ما أذاقهم الله، ما ذاقوا بأس الله، لسَلِموا من بأس الله، ولكنه لا حجة لهم فلهذا ذاقوا بأس الله، وكلنا نعلم أن الإنسان لو ذُكر له أن بلداً آمناً مطمئناً، يأتيه رزقه رغداً من كل مكان، فيه من المتاجر والمكاسب ما لا يوجد في البلاد الأخرى، وأن بلداً آخر بلدٌ خائف غير مستقر، مضطرب في الاقتصاد، مضطرب في الخوف والأمن، فإلى أيهما يذهب؟ بالتأكيد سيذهب إلى الأول ولا شك، ولا يرى أن أحداً أجبره أن يذهب إلى الأول، يرى أنه

ذهب إلى الأول بمحض إرادته، وهكذا الآن طريق الخير وطريق الشـر، قال الله لنا: هذه طريق جهنم وهـذه طريـق الجنـة، وبيّـن لنـا مـا فـي الجنة من النعيم، وما في النـار مـن العـذاب. فأيهمـا نسـلك؟ بالقيـاس الواضح الجلي أننا سنسلك طريق إيش؟ طريق الجنة لا شك، كمـا أننـا في المثال الذي قبل نسلك طريق البلد الآمن الـذي يـأتيه رزقـه رغـداً من كل مكان. لو أننـا سـلكنا طريـق النـار فـإنه سـيكون علينـا العتـب والتوبيخ واللوم، ويُنادى علينا بالسفه، كما لو سـلكنا فـي المثـال الأول طريق البلد المخوف المتزعزع الذي ليس فيه استقرار، فـإن كـل أحـد يلومنا ويوبخنا، إذاً ففي قوله: ((**لمن شاء أن يستقيم**)) تقرير لأن الإنسـان، أو تقريـر لكـون الإنسـان يفعـل الشـيء بـإيش؟ بمشـيئته واختياره، ولكن بعد أن يفعل الشيء ويشـاء الشـيء نعلـم أن اللـه قـد شاءه من قبل ولو شاء الله مـا فعلـه، وكـثيراً مـا يعـزم الإنسـان علـى شيء يتّجه بعد العزيمة على هذا الشـيء وفـي لحظـة مـا يجـد نفسـه منصرفاً عنه، أو يجد نفسه مصروفاً عنه؛ لأن الله لـم يشـأه، كـثيراً مـا نريـد أن نـذهب مثلاً إلـى مسـجد مـا لنسـتمع إلـى محاضـرة، وإذا بنـا ننصرف بسبب أو بغير سبب، أحياناً بسبب بحيث نتذكر أن لنـا شـغلاً أو يقال لنا: إن المحاضرة ألغيت فنرجع، وأحياناً نرجع بدون سبب لا ندري إلا وقد صرف الله تعالى همتنا عن ذلك فرجعنا. ولهذا قيل لأعرابي بـم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائـم وصـرف الهمـم. " بنقـض العزائـم " يعني الإنسان يعزم علـى الشـيء عزمـاً مؤكـداً وإذا بـه ينتقـض!! مـن نقض عزيمته، لا يشعر، ما يشعر أن هناك مرجحاً أوجب أن يعـدل عـن العزيمة الأولى بل بمحـض إرادة اللـه " صـرف الهمـم " يهـم الإنسـان بالشيء ويتجه إليه تماماً وإذا به يجـد نفسـه منصـرفاً عنـه سـواء كـان الصارف مانعاً حسيًّا أو كان الصـارف مجـرد اختيـار اختـار الإنسـان أن ينصرف، كل هذا من الله عز وجل. فالحاصـل أن اللـه يقـول: ((**لمن شاء منكم أن يسـتقيم**)) ومـا معنـى الاسـتقامة؟ الاسـتقامة هـي الاعتدال،الاعتدال ولا عدل أقوم من عدل الله عز وجـل فـي شـريعته، في الشرائع السابقة كانت الشـرائع تناسـب حـال الأمـم زمانـاً ومكانـاً وحالاً، وبعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، كـانت شـريعته تناسـب الأمة التي بُعث النبي صلى الله عليه وسـلّم إليهـا مـن أول بعثتـه إلـى نهاية الدنيا. ولهذا كان مـن العبـارات المعروفـة " أن الـدين الإسـلامي صالح لكل زمان ومكان وحال ". لكل زمان ومكـان وحـال، لـو تمسـك

الناس به لأصلح الله الخلق. انظر مثلاً الإنسان يصلي أولاً قائماً، فإن عجز فقاعداً، فإن عجز فعلى جنب، إذن الشريعة تتطور بحسب حال الشخص؛ لأن الدين صالح لكل زمان ومكان . يجب على المحدث أن يتطهر بالماء، فإن تعذر استعمال الماء لعجز أو عدم. عدل إلى التيمم، فإن لم يوجد ولا تراب، أو كان عاجزاً عن استعمال التراب فإنه يصلي بلا شيء، لا بوضوء، لا بطهارة ماء ولا بطهارة تيمم، كل هذا لأن شريعة الله عز وجل كلها مبنية على العدل، ليس فيها جور، ليس فيها ظلم، ليس فيها حرج، ليس فيها مشقة، ولهذا قال: ((أن يستقيم)) : ضد الاستقامة انحرافان: انحراف إلى جانب الإفراط والغلو، وانحراف إلى جانب التفريط والتقصير، ولهذا كان الناس في دين الله عز وجل ثلاثة أشكال: طرفان ووسط، طرف غالٍ مبالغ متنطع متعنت، وطرف آخر مفرّط مقصّر مهمل. والثالث: وسط بين الإفراط والتفريط، مستقيم على دين الله هذا هو الذي يُحمَد. أما الأول والثاني، الأول الغالي، والثاني الجافي فكلاهما هالك . هالك بحسب ما عنده من الغلو، أو من التقصير، وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الغلو والإفراط والتعنت والتنطع حتى إنه قال: **(هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**)، لأن التنطع فيه إشقاق على النفس وفيه خروج عن دين الله عز وجل، كما أنه ذمّ المفرطين المهملين وقال في وصف المنافقين: ((**وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى**)) . فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، ولهذا قال هنا: ((**لمن شاء منكم أن يستقيم**)) لا يميل يميناً ولا شمالاً، يكون سيره سير استقامة على دين الله عز وجل والاستقامة كما تكون في معاملة الخالق عز وجل وهي العبادة تكون أيضاً في معاملة المخلوق، فكن مع الناس بين طرفين، بين طرفي الشدة والغلظة والعبوس، وطرف التراخي والتهاون وبذل النفس وانحطاط الرتبة، كن حازماً من وجه، ولين من وجه، ولهذا قال الفقهاء ـ رحمهم الله ـ في القاضي: " ينبغي أن يكون ليناً من غير ضعف، قويًّا من غير عنف " . فلا يكون لينه يشطح به إلى الضعف، ولا قوته إلى العنف، يكون بين ذلك، ليناً من غير ضعف، قويًّا من غير عنف حتى تستقيم الأمور، فبعض الناس مثلاً يعامل الناس دائماً بالعبوس والشدة وإشعار نفسه بأنه فوق الناس وأن الناس تحته، وهذا خطأ، ومن الناس من يحط قدر نفسه ويتواضع إلى حد التهاون وعدم المبالاة بحيث يبقى

بين الناس ولا حرمة له، وهذا أيضاً خطـأ، فـالواجب أن يكـون الإنسـان بين هذا وبين هذا كما هو هدي النبي صلى الله عليه وآلـه وسـلم، فـإنه عليه الصلاة والسلام يشتدّ في موضع الشدة، ويلين في موضـع الليـن. فيجمع الإنسان هنا بين الحـزم والعـزم، والليـن والعطـف والرحمـة .((**لمن شاء منكم أن يستقيم**)). ((**ومـا تشـاءون إلا أن يشـاء الله رب العالمين**)) يعني لا يمكـن أن تشـاءوا شـيئاً إلا وقـد شـاءه الله من قبل، الآن مشـيئتي الآن أن أحـدثكم أن أتحـدث إليكـم مشـيئة مني أنا لكنها ما كانت إلا بعد مشيئة الله عز جل، لو شاء الله لم أشـأ، ولو شاء الله أن لا يكون الشيء ما كان ولو شئته. حتى لو شئت واللـه تعالى لم يشأ فإنه لن يكون، بل يقيض اللـه تعـالى أسـباباً تحـول بينـي وبين هذا حتى لا يقع، وهذه مسألة يجب على الإنسان أن ينتبه لهـا، أن يعلم أن فعله بمشيئته مشيئة تامة بلا إكراه، لكن هذه المشيئة مقترنـة بمشيئة الله. يعلم أنه ما شاء الشيء إلا بعد أن شاء الله، وأن اللـه لـو شاء ألا يكون لم يشأه الإنسان، أو شاءه الإنسان ولكن يحول الله بينـه وبينـه بأسـباب وموانـع، ((**ومـا تشـاءون إلا أن يشـاء اللـه رب العالمين**)) وهنا قال : ومـا تشـاءون إلا أن يشـاء اللـه رب العـالمين ولم يقل : ربكم ، إشارة إلى عموم ربوبية الله، وأن ربوبية الله تعالى عامة ولكن يجب أن تعلم أن العالمين هنا ليست كالعـالمين فـي قـوله ((**إن هو إلا ذكر للعالمين**)) ((**ذكر للعالمين**)) الأولى أنها هـي المـراد بهـا، إيـش؟ لا،مـن أُرسـل إليهـم الرسـول، أمـا هنـا ((**رب العالمين**)) فالمراد بالعالمين كل من سوى الله، فكل من سوى الله فهو عالم؛ لأنه ما ثمّ إلا رب ومربوب، فإذا قيل رب العـالمين تعيّـن أن يكون المراد بالعالمين كل من سوى الله، كما قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: " **وكل من سـوى اللـه فهـو عالم، وأنا واحد من ذلـك العـالم** " . فالحاصـل أن هـذه السـورة سورة عظيمة، فيها تـذكرة وموعظـة ينبغـي للمـؤمن أن يقرأهـا بتـدبر وتمهل، وأن يتعظ بما فيها، كما أن الواجب عليه في جميع سور القرآن وآياته أن يكون كذلك حتى يكـون ممـن اتعـظ بكتـاب اللـه وانتفـع بـه، نسأل الله تعالى أن يعظنا وإياكم بكتابه وسنة رسوله صلى اللـه عليـه وآله وسلم وآياته الكونية .